

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ
قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ
مِنَ الْكَاذِبِينَ* وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ
مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
(يوسف: ٢٧، ٢٨)

عصمة يوسف عليه السلام

حوالت الخزي والذل إلى العز والشرف

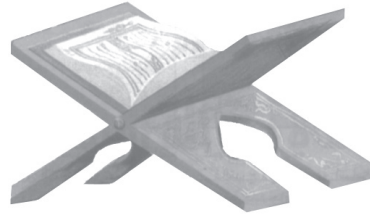
شرح الكلمات:

شَهِدَ: شهد المجلس شهوداً:
حَضَرَهُ؛ اطَّلَعَ عَلَيْهِ؛ عَائِنَهُ. شهد
الجمعة: أدركها. وشهد على
كذا: أخبر به خيراً فاطعاً. وشهد
عند الحاكم لفلان على فلان بكذا
شهادة: أدى ما عنده من الشهادة
(الأقرب)

الصَّادِقِينَ: الصدق: نقيض الكذب،
هو الذي يكون ما في الذهن مطابقاً
لما في الخارج (الأقرب). والصدق:
مطابقة القول الضمير والمخبر عنه
معاً، ومتى انخرم (أي سقط) شرط
من ذلك لم يكن صدقاً تاماً، بل
إما أن يوصف بالصدق، وإما أن
يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب
على نظرين مختلفين (المفردات)

قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي^{٢٧} وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ^(٢٨) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ^(٢٩) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ^(٣٠) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا^(٣١) وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ^(٣٢) * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُنَّهَا فِي صَلْبٍ مُبِينٍ^(٣٣) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ آخُزْجِي عَلَيْنَّ فَمَا رَأَيْتَهُنَّ أَكْبَرْتَهُنَّ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ^(٣٤) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ^(٣٥) وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ^(٣٦)

(سورة يوسف)



من دروس: حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

المصلح الموعود رحمته الله

الخليفة الثاني لحضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام



التفسير:

كما يجب أن نعلم أن عبارة (إن كيدكن عظيم) ليست قراراً سماوياً وإنما هي من قول العزيز، وقوله ليس بحجة علينا. لقد تفوه به غاضباً، والذين لا يملكون أنفسهم عند الغضب يتفوهون بمثل هذا الكلام،

إنّ ما فعله يوسف هو الذي يليق بمقام عباد الله الأخيار، فإنه رغم كونه مظلوماً لم يبادئ الحديث عمّا حدث بل حاول ستر خطيئة المرأة، ولكنها لما اتهمته بالإثم كذباً اضطر لبيان الواقع، وأخبر زوجها قائلاً: لم أفكر أبداً في الخطيئة وإنما هي التي كانت تحاول إغرائي بما بل وإرغامي عليها.

إلى المكر والكيد بوجه خاص. مما لاشك فيه أن النسوة بسبب تعرضهن للظلم والعدوان من الرجال عموماً يكنّ أشدّ مكرّاً من الرجال وأمهرَ منهم في التمويه والتعتيم، ولكن هذه العادة ترجع إلى هضم حقوقهن بأيدي الرجال. ومن أجل ذلك لا نجد هذه العادة في نساء الشعوب أو العائلات التي تؤدّي فيها حقوق النساء كاملة، بل نجد على النقيض من ذلك أن الرجال في الأمم المقهورة بأيدي الظالمين يلجأون أيضاً إلى المكر والخداع. فهذه العادة ليست خاصة بالنسوة فقط، وإنما هي نتاج الظلم وهي قائمة لدى الجنسين على حد سواء.

كما يجب أن نعلم أن عبارة (إن كيدكن عظيم) ليست قراراً سماوياً وإنما هي من قول العزيز، وقوله ليس

تذكر المصادر الإسلامية أن اسم المرأة كان "زليخا"، ولكن التوراة لم تذكر لها أي اسم. غير أن التلمود أيضاً ذكر أن اسمها "زليخا" (التلمود، ترجمة بولايو ص ٨٠). ويبدو أن المسلمين نقلوا هذا الاسم عن هذا المصدر.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾
(يوسف: ٢٩)

التفسير:

يبدو أن هذا من كلام العزيز. فعندما نبّهه الشاهد إلى فحص القميص ووجده ممزقاً من الخلف أدرك الحقيقة.

قال البعض بأن قوله ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ يعني أن النسوة بطبعهن يملن

ثم إن الله بنفسه هيئاً ظرفاً برأت ساحة يوسف، حيث قام شاهد من أهلها يشهد لصالحه إذ نبّه أنه لو كان يوسف هو الذي نوى بها الشر لكان هناك احتمال أكبر أن يتمزق قميصه من الأمام، ولكن قميصه قد تمزّق من الخلف وهذا دليل واضح أن هذا المسكين كان يريد الفرار منها وأنها هي التي كانت تريد إيقافه ومنعه من الهروب.

وحيث إن القرآن لم يذكر من قبل حادثة تمزّق القميص، يبدو أن هذا الشاهد هو أول من رأى القميص ممزقاً من الخلف، ولكنه لم يصرح بذلك خوفاً من غضب تلك المرأة، وإنما تحدث بأسلوب وكأنه يبين قاعدة عامة لمعرفة الحقيقة في مثل هذه الظروف.



بحجة علينا. لقد تفوّه به غاضبًا، والذين لا يملكون أنفسهم عند الغضب يتفوّهون. يمثل هذا الكلام، سواء كانوا من النسوة أو الرجال. إننا نرى دائماً أنّ كل جنس يرمي الجنس الآخر بشتى النقائص والعيوب. فمن اعتبرها قاعدة عامة أو حقيقة ثابتة فقد ساق دليلاً على جهله وقلة إدراكه فحسب. إذ لا أحد يقصد من مثل هذه الأقوال أن المخاطب أو جميع أفراد الجنس الآخر مخطئون. فمن حمل مثل هذه الأفكار الخاطئة عن جنس النساء الذي خرجت منه سيدات فاضلات عظيمات مثل مريم وخديجة وعائشة رضوان الله عليهن، فلا شك أنه لا يهين إلا نفسه.

﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِدُنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾
(يوسف: ٣٠)

شرح الكلمات:

أَعْرَضَ: أَعْرَضَ عَنْهُ أَضْرَبَ وَصَدَّ، وَحَقِيقَتُهُ جَعَلَ الْهَمْزَةَ لِلصَّيْرُورَةِ، أَيِ أَخَذْتُ عَرَضًا أَيِ جَانِبًا غَيْرَ الْجَانِبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ (الأقرب). فالعنى دَعَاكَ مِنْ هَذَا وَلَا تَبَالٍ بِهِ.

هذا أيضا من كلام العزيز، حيث ينصح زوجته من ناحية، ومن ناحية أخرى ينصح يوسف عليه السلام بأن يتغاضى عما حدث ولا يفشي هذا السر.

التفسير:

هذا أيضا من كلام العزيز، حيث ينصح زوجته من ناحية، ومن ناحية أخرى ينصح يوسف عليه السلام بأن يتغاضى عما حدث ولا يفشي هذا السر. وهنا نجد اختلافًا آخر بين ما ورد في القرآن وما ورد في التوراة، فلما تذكر أن العزيز صدّق زوجته في قولها، وعدّد سيدنا يوسف مجرمًا وغضب عليه. (التكوين ٣٩: ١٩، ٢٠). ولكنها سرعان ما تعود لتؤيد القرآن بقولها: فدفع رئيس بيت السجن إلى يد يوسف جميع الأسرى الذين في بيت السجن. وكل ما كانوا يعملون هناك كان هو العامل (التكوين ٣٩: ٢٢).

ونعرف من التوراة أن زوج زليخا وهو العزيز "فوطيفار" نفسه كان يشرف على السجن حيث ورد فيها: "فسخط فرعون على خصيّه رئيس السّقاة ورئيس الخبازين، فوضعهما

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٣١)



شرح الكلمات :

العَزِيزُ: الشريف؛ القوي؛ المكرّم؛ وهو من أسماء الله تعالى أي المنيع الذي لا يُنال ولا يُغالب؛ الملكُ لغلبته على أهل مملكته؛ لقبٌ من مَلَكٍ مصرَ مع الإسكندرية (الأقرب).

شَغَفَهَا: شَغَفَهُ شَغْفًا: أصاب شَغَافَهُ. شَغَفُهُ حَبُهُ شَغْفًا: علق بالشغاف. والشغاف: غلاف القلب؛ وقيل: حجابهُ؛ وقيل: حَبَّتُهُ؛ وقيل: سُويِدَاؤُهُ. (الأقرب).

ضَالَالٌ: الضلال: الهلاك؛ الفضيحة؛ الباطل؛ ضدُّ الهدى (الأقرب). قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ وقوله: ﴿إِن أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مَبِينٍ﴾ إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه، وكذلك ﴿قَدْ شَغَفَهَا حَبًّا إِنْهَا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مَبِينٍ﴾ (المفردات).

التفسير:

(العزير) كان لقبًا للملك مصر في ذلك الزمان، ولكن هذه المرأة لم تكن زوجة الملك المصري عندئذ إنما كانت زوجة لرئيس حراسه. يبدو أن هذه الكلمة كانت تطلق أيضا على أعيان البلد، أو أن النسوة أطلقن هذا اللقب عليها تملقًا لها مثلما يسمي الخادم سيده ملكًا وغير ذلك من الألقاب. وعندما شاع خبر

الحادث بين أقارب العزيز وسمعت بعض النسوة اللاتي كن صديقات لامراته فيما يبدو، بدأن في نشر الخبر علنًا. ولكنهن — بغية التشهير بها — أدعن الخبر بحيث يتوهم الناس وكأن الغرام بينهما لا يزال مستمرًا. وهكذا قدمن الحادث بشكل مشوّه يوهم السامع وكأن سيدنا يوسف أيضا كان متورطًا في المعصية.

وأما كلمة (حَبًّا) في قوله ﴿قَدْ شَغَفَهَا حَبًّا﴾ فهي للتمييز، والمعنى: قد شغفها حبه، ومثاله: طاب محمد نفسًا أي طابت نفسُ محمد، والمراد: أن حب يوسف قد تمكن من قلبها أي أنها أَحَبَّتُهُ حَبًّا شديدًا، غير مبالية بالعواقب. فكأن هؤلاء النسوة قمن بهجائها ولكن هجاءً مليحًا.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: ٣٢)

شرح الكلمات:

سَمِعَتْ: سمع بالشيء معناه أنه سمع خبراً كان شائعاً، إذ ورد سمع بكذا:

شيعه، وسمع بالرجل: أذاع عنه عيباً وندد به وشهره وفضحه (الأقرب). **مَتَكًا**: متكاً: جلس متمكناً، يقال متكأ على السرير. متكأ القوم عند فلان: طعموا عنده. قال جميل: فظللنا بنعمة واتكأنا: أي طعمنا. واتكأ على عصاه: تحمّل واعتمد عليها. قال ابن الأثير: والعامية لا تعرف الاتكأ إلا الميل في القعود معتمداً على أحد الشقيين، وهو يُستعمل في المعنيين جميعاً، يقال متكأ إذا أسند ظهره أو جنبه إلى شيء معتمداً عليه. وكل من اعتمد على شيء فقد متكأ عليه. والمتكأ مجلس يُجلس عليه للاتكاء (الأقرب).

سَكِينًا: السكين آلة يُدبَحُ بها. السكينة السكين وهي أخص منه. والسكينة: الطمأنينة (الأقرب).

خَرَجَ عَلَيْهِنَّ: خَرَجَ عليه: برز لقتاله. وخرجت الرعية على الوالي: خلعت طاعته، وخرج الوالي على السلطان: تمرّد، وخرج إلى فلان من دينه: قضاه إياه (الأقرب).

أَكْبَرْنَهُ: أكبره: رآه كبيراً وعظم عنده (الأقرب).

حَاشَ لِلَّهِ: حاش منه يحيش حيشًا: فرع. ويقال حاشى زيداً من القوم: استثناه. حاشا: ويقال فيها أيضًا

أما الجملة (إن هذا إلا ملك كريم) فتعني أنهم عندما رأينه أقرن بعظمته وورعه، ولم يلبثن أن قلن إنه ملك كريم. وهذا يعني أنه يمكن إطلاق كلمة "الملك" على البشر مجازاً.

حاش وحشى. وقال في "الإيضاح": كلمة استعملت للاستثناء فيما ينزه فيه المستثنى عن مشاركة المستثنى منه في حكمه (الأقرب). قال أبو البقاء: حاش لله: فاعله مضمراً. تقول: حاش يوسف بخوف الله. إذا كان (حاش) فعل أمر من حاشى يحاشي فالمعنى اتق الله أيها المخاطب ولا تتهم يوسف بهذا، استبدلت الفتحة بالكسرة (حاشية الجلالين). وقال صاحب "المغني": الصحيح أنها اسم مرادف للبراءة من كذا، بدليل قراءة بعضهم: حاشاً لله بالتونين، كما يقال: براءة لله. وعلى هذا فقراءة ابن مسعود: حاش الله كعماد الله.

التفسير:

أي عرفت امرأة العزيز أن النسوة يتحدثن عنها بأسلوب يبدو طيباً ولكنهن في الواقع يغيبن التشهير بها، حيث يوهمن الناس وكأن الفاحشة قد ارتكبت فعلاً، رغم إعلان أهلها بأن الأمر ليس كذلك، وأدركت بأنهن يحسبن أن الغرام بينهما لا يزال قائماً مستمراً، مع أن كل ما في الأمر أن بوادر الغرام قد ظهرت من امرأة العزيز، ولكن الأمر لم يتعد ذلك.

فلكي تزيل "زليخا" هذه الأوهام والشبهات من أذهانهم، دعتهن إلى الطعام. فرتبت الموائد ووضعت سكيناً أمام كل واحدة منهن — ويتضح من ذلك أن استخدام السكاكين لتناول الطعام عادة قديمة، مثلما يرتبون اليوم السكاكين على الموائد قبل إحضار الأطباق — ثم أمرت امرأة العزيز يوسف أن يضع أمامهن الطعام. فلما رأينه أدركن من ملامح وجهه الكريم أنه ليس من صنف البشر الذين يأتون الفواحش. واعترفن بعظمته وطهارته، وبخطأ ظنهن فيه، وبرأته من التورط في الإثم مع المرأة.

وأما قوله تعالى ﴿قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ فيمكن تفسيره بطريقتين. الأولى: أن ما رأينه من عظيم نبه وشرفه وبرأته بهرهن لدرجة أنهن اتهمكن في مشاهدة هذا المحيّا حتى إن بعضهن جرحن أيديهن مجازاً.

والثاني: أن هذا تعبير عن شدة الحيرة والدهشة. بمعنى أنهم قمن بعض أناملهن من روعة المشهد وقلن: كيف خطر لنا أن نظن أن هذا الملك الكريم يمكن أن يقترب من الفاحشة. وعض الأنامل يدل كذلك على الندم. وقد جاء هنا بكلمة (أيدي) بدل (أنامل) بحسب عادتهم في ذكر الكل مكان البعض. ولقد ورد في التلمود أنها وضعت أمامهن البرتقال، وأمرت يوسف بالقيام بخدمتهن، فاتهمكن في رؤية وجهه الجميل منبهرات فجرحن أيديهن.

أما الجملة (إن هذا إلا ملك كريم) فتعني أنهم عندما رأينه أقرن بعظمته وورعه، ولم يلبثن أن قلن إنه ملك كريم. وهذا يعني أنه يمكن إطلاق كلمة "الملك" على البشر مجازاً.

ارتكابها ما لم يرض بها الرجل، فلذا والتي رأت في رفضه لرغبتها إهانة عرّفت هذه المرأة صديقاتها بيوسف لها، نجدها تعلن أنه لم يقع في مكيدتها بالرغم من محاولتها المضنية، بل الوقوع في هذه الرذيلة. ثم بينت لمن استعصم وسلم.

واقع الأمر قائلة: لقد حاولت إيقاعه ومن عجائب القدر أن المرأة هددته في شرّكي ولكنه امتنع عما أريد بالذل والهوان بإلقائه في غياهب منه. وكما هو بادٍ من حديثها فإنهن السجن، ولكن السجن نفسه أصبح كنّ صديقات سوء، ولذلك بعد أن سبباً في عزة يوسف وشرفه، إذ جعله برأت ساحتها من الفاحشة أكدت الله تعالى من خلال دخوله السجن

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمَرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف: ٣٣)

شرح الكلمات:

استعصم: امتنع وأبى، تقول: دُعِيَ إلى مكروه فاستعصم أي أبى وطلب العصمة. واستعصم: تحرّى ما يعصمه. واستعصم به: استمسك به ولزمه. واستعصم من الشر والمكروه: التجأ (الأقرب).

لَيَكُونًا: أصله لَيَكُونَنَّ.

الصاغرين: صغر: ضدّ عظم؛ هان بالذل. وصغرّت الشمس مالت للغروب. صغر القوم: كان أصغرهم. الصاغر: المهان الراضي بالذل والضميم، جمعه الصاغرون (الأقرب).

والغريب أن المفسرين يقولون بأن يوسف مال إلى ارتكاب المعصية ولكن المرأة التي كانت محور الحادث والتي رأت في رفضه لرغبتها إهانة لها، نجدها تعلن أنه لم يقع في مكيدتها بالرغم من محاولتها المضنية، بل استعصم وسلم.

لهن نيتها الشريرة نحوه قائلة: إنه إذا مقرباً للملك، ووزيراً للمال. وهكذا لم يخضع لرغبي فسوف أرغمه تحقق ما هددته به، كما أنجز الله على السجن وأذيقه الحزري وعده معه، ليبين أن كل شيء في قبضته وقدرته، فلو شاء خلّق من والهوان.

والغريب أن المفسرين يقولون بأن يوسف مال إلى ارتكاب المعصية وأسباب الحزري والذل دواعي العز والشرف.

ولكن المرأة التي كانت محور الحادث

التفسير:

لقد ذكرنا من قبل أن النسوة تحدثن بأسلوب يوهم بأن الفاحشة قد ارتكبت فعلاً. ودفعاً لهذا الوهم قامت امرأة العزيز بدعوتهن إلى الوليمة. والظاهر أن هذه الفعلة يستحيل